الفصل السادس

البحث الأول : الإعداد النفسي للدّاعية المسلم .

البحث الثاني : الإعداد الخُلُقي الاجتماعي للدّاعية المسلم .

البحث الأول

الإعداد النفسي للدّاعية المسلم

مفهوم الإعداد النفسي للداعية المسلم :

هو تهيئته وتكوينه نفسياً ليكون على استعداد للمشاركة الفعلية بعزمٍ وثباتٍ وشجاعةٍ وإقدام في مجال دعوة الأفراد والجماعات متحملاً لكلِّ الصّعابِ التي تُواجههُ في هذا المطريق .

أهميتهُ :

الإعداد النفسي للدّاعية أمرٌ في غاية الأهمية لارتباط وظيفته بالناس ، والناس متنوعو الثقافات والعقائد والأديان ، كما أنهم متنوعو الأهواء والمشتهيات والأغراض والأهداف ، بالإضافة إلى اختلاف نمط الأخلاق من شخص إلى آخر ، وتباين المجتمعات سياسياً واجتماعياً واقتصادياً ونفسياً وتاريخياً ولكي نعد الدّاعية ـ رجلاً كان أو امرأةً ـ من الناحية النفسية ليكون على استعداد للمواجهة الدّعوية ـ فرديَّة كانت أو جماعية ـ فلابُدَّ من توافر بعض الصفات والمطالب النفسية اللازمة لهذا الإعداد ، ومن أهمها مايلي :

١ـ الإيمان بالله تعالىٰ ورسولهِ صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ .

٢ـ الإخلاص لله تعالىٰ .

٣ـ التفاؤل بالمستقبل .

٤ـ الجرأة في الحق .

٥ـ الاعتزاز بالإسلام .

٦ـ الصبر على المكاره .

٧ـ معرفة حال المخاطَبين وبيئاتهم داخل العالم الإسلامي .

٨ـ معرفة حال المخاطَبين وبيئاتهم خارج العالم الإسلامي .

وهذه الشروط يتفق فيها الدعاة رجالاً ونساءً يُضاف إليها شرطٌ خاصٌ بالنساء يتلاءم مع الظروف والأحوال الخاصة بالنساء من حيث اختصاصهنّ بالحمل والولادة والحيض والنفاس ، مما يجعلهن يتركن الصلاة لمدة الحيض والنفاس ، ويؤخرن الصومَ والطواف بالبيت في هذه المدة ، كما أنهنَّ يتعرضن لعدّة الطلاق أو الوفاة ، كما يتعرضنَ لفرض الحجاب ، وكلُّ هذه الأحوال مما يزيد من تحملهن مسؤوليةً خاصةً في تبليغ ما يتعلق بالأحكام الشرعية لمثل هذه الأحوال حيث إنهن قد يكن أقدر من الرجال على تبليغها وبيانها لبناتِ جنسهنَّ ، ومن هذه الحيثية فلابُدَّ من التهيؤ النفسي لهذه الظروف .

١ـ الإيمان بالله تعالىٰ ورسوله صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ :

إنَّ الإيمانَ بالله ورسوله وبما جاء من عند الله وعلى لسان رسولهِ صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ أهمُّ العوامل والمقومات النفسية التي تدفع الإنسان للدعوة إلى الإسلام والتضحية في سبيله بكل ما يستطيع من بذل النفس والمال ، وبذل الجهد والوقت من أجله ، واحتساب ذلك عند الله عز وجل من غير تردد عن ذلك أو تراجع ، وإذا عُدمَ الإنسانُ هذا العامل لم يكن مسلماً وبالتالي فلا يستطيع الإسهامَ في هذا المجال ، وفاقد الشيء لا يُعطيه .

ولو لم يكن هذا العامل موجوداً في نفوس صحابة رسولِ الله صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ والتابعين لهم ومن بعدهم من رجال الدعوة إلى الله لم يستطيعوا تقديم شيء مما قدموه من تضحيات في سبيل الله حيث ضحوا بأوقاتهم وأموالهم وأرواحهم في سبيل الله ، وإعلاءِ كلمة التوحيد ، ورفع راية العقيدة ، والذّود عنها ، ونشرها في الأقاليم بالجهاد في سبيل الله تعالىٰ .

وإنَّ الإيمان بالله عزَّ وجلَّ ، والإيمان بِمَوْعُودِهِ في الدنيا والآخرة يصنع الأعاجيب .

إنَّ الإيمان بالله هو الذي دفع أبا بكر رضي اللهُ تعالىٰ عنهُ أن يُصدِّقَ الرسولَ صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ بخبر الإسراء [تفسير ابن كثير ج٥ ص١٣] . وهذا الإيمان دعا بلالاً رضي اللهُ تعالىٰ عنهُ للصبر على حرّ الرمضاء وقت الظهيرة ، والصبر على ثقل الحجر وهو يقول : أحدٌ أحدٌ [الإصابة ج١ ،ص١٧٩] . وهذا الإيمان هو الذي دعا أسرة آل ياسر للصبر على الشدة والعذاب والنّكال ، ويمر بهم النبي صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ وهم يعذبون فيقولُ مواسياً : « أبشروا آلَ عمار وآل ياسر فإنَّ موعدكم الجنة »!!! [مستدرك الحاكم ج٣ ص٣٨٨ ، على شرط مسلم ووافقه الذهبي] . فصبرت هذه الأسرة على هذا التعذيب ومات ياسر بسببه ، وطعن أبو جهل لعنه الله سميةَ في قُبُلِهَا فماتت .

والإيمان بالله سبحانه وبرسوله صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ هو الذي دفع المرأة المسلمة إلى الهجرة في سبيل الله وترك الزوج والأهل والأولاد لا من أجل كره زوج أو عشيرة ، وإنّما حُبّاً للإسلام! قال الله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ﴾ [الممتحنة : ١٠] .

إنَّ هذه الصفوة من المؤمنين والمؤمنات آمنوا بالله رباً واحداً لا شريك له ، وبالإسلام ديناً لا دين سواه ، وبمحمد صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ رسولاً خاتماً لا نبيَّ بعده ، كما آمنوا بأن القرآن الكريم كلام الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ ، كما آمنوا بما صحَّ عن رسولِ الله صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ من أحاديث شريفة قال عنها الرسول المصطفى صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ : « تركتُ فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتُم بهما أبداً كتابَ الله وسنةَ نبيِّهِ » . [موطأ الإمام مالك ج٢ ،ص٨٩٩ ، وصحيح الجامع ج٣ ، ص٣٩ رقم الحديث ٢٩٣٤] .

وقال عنها صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ : « ألا إني أوتيتُ الكتابَ ومثلَهُ

معه » . [سنن أبي داود مع معالم السنن ج٥ ، ص١٠ رقم الحديث ٤٦٠٤] .
كما كان عن مقتضى ذلك الإيمان أن يؤمن بأن الآجال بيد الله ، قالَ تعالىٰ : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٤] .
وأنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وأنَّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوه بشيءٍ لم ينفعوه إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ له ، وإنِ اجتمعتْ على أن يضروه لم يضروه إلا بشيءٍ قد كتبهُ الله عليه ، قال الله تعالى : ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [التوبة : ٥١] . كما أن مقتضى الإيمان ، أن الأرزاق بيد الله لا يمكن أن يمنع أحدٌ رزقَ أحدٍ إلا بإرادة الله ، ولا يمكن أن يرزق أحدٌ أحداً ، إلا بمشيئة الله ، قالَ الله تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء : ٣٠] . ومن مقتضيات الإيمان الاعتقاد بأنَّ الله عز وجل يسمع ويرى ويعلم السر والنجوى ويعلم خائنةَ الأعينِ وما تُخفي الصدور ، قال تعالىٰ : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة : ٧] .

إنَّ الإيمان بهذه الصورة ، هو الذي يعدُّ الداعيةَ لعمله ، ويجعله قوياً شجاعاً لا وَجِلاً ولا هياباً واثقاً بربه متكلاً عليه لا يخاف في الله لومةَ لائمٍ!!! .

٢ـ الإخلاص لله تعالى :

الإخلاص خُلقٌ نفسيٌ كريم ، يحتاج إليه المسلمُ في عبادته ، وطالبُ العلم في عمله ، والداعيةُ في دعوته ، وكلُّ صاحب عمل شريف . ومقتضى الإخلاص ، التجردُ التام في العمل من المصالح الشخصية ، المرتبطة بالخَلْقِ وعدم إعلانه للناس إلا ما فيه مصلحة ظاهرة ، والتوجه إلى الله بالعبادة وعدم صرف منها لغير الله تعالى .

وعمل الداعية من أدق الأعمال وأكثرها حساسية لارتباطه بالنّيّةِ وهي من أعمال القلوبِ . ولذلك فلا بد أن يعد الداعية نفسه من هذه الناحية إعداداً قوياً ، فلا يقدم على عمله الدعويّ إلا بعد تمحيص النيّة وتخليصها من

الشوائب التي تعكرها ، وتكّدر صفوها . فإذا عرف الداعية من نفسه الإخلاص لله عزَّ وجلَّ في أقواله وأفعاله ، فإنه بعد ذلك لا يخشى في الله لومةَ لائمٍ ، ولا تقف في طريقه معوقات الطريق ، وبذلك يُصبح الإخلاص من أهم المقومات النفسية في عمله الدعوي قولاً وفعلاً .

ومن المعلوم أنَّ الدعوة إلى الله من أشرف العبادات التي يُؤديها المسلم طاعةً لله وابتغاءَ مرضاته ، وهذا أسمى هدف يسعى إليه المسلم!!! .

٣ـ التفاؤل وحُسن الظن بالله تعالىٰ :

التفاؤل وحُسن الظن بالله شعور في النفس يبعث الاطمئنان والثقة والأمل في المستقبل مما يدفع الإنسان إلى المضي قُدماً في تنفيذ خُططه بشجاعة نفسية دون خوف أو خَوَر أو وهنٍ أو قنوط أو يأسٍ .

والتفاؤل صفة حسنة في النفس مطلوبة لكل إنسان في مسار حياته الطويل ، والداعيةُ إلى الله أولى الناس وأحراهم بالتحلي بهذه الصفة الحميدة والشعور بها ، لأنه يحكم ارتباط عمله الدعوي مع الناس يتعرض للنقد والعيب والرفض ، وقد لا يتحمل مثل هذه المواجهات فهو بحاجة إلى زرع التفاؤل في نفسه ، والأمل القوي في الإصلاح والصلاح ، فلا يدفعُهُ موقفُ الرفض والنقد من مخالفيه إلى التوقف في مساره الدعوي ، بل يكون على ثقةٍ واطمئنانٍ واعتزاز بالله عزَّ وجلَّ وإيمان بعونه جلَّ وعلا .

ولأهمية التفاؤل في النفس الإنسانية فقد جاء الأمرُ بالنهي عن ضده في كتاب الله عزَّ وجلَّ العليم الخبير بنفوس عباده فقال عزَّ من قائل في معرض حديثه عن معركة أُحُد مخاطباً عباده المؤمنين باعثاً في نفوسهم الأمل والثقة بالله سبحانه ومبشراً لهم بأنَّهم الأعلون ، وإن أُصيبوا بما أصيبوا به من الجراح والقتل : ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٩] . والله عزَّ وجلَّ حينما نهى عباده المؤمنين عن الشعور بالضعف والإحساس بالحزن ، وعندما يسوق لهم البشرى بعلو مكانتهم على أعدائهم ، إنّما يعزّي عباده المؤمنين ويُواسيهم ، وكفى بها تعزية ، وكفى بها مواساة

من الله العليم الخبير ، تحثُّ على الاطمئنان والثقة ، وتحث على السعي والسير في خط الدعوة بلا تراخٍ أو كسلٍ أو فتورٍ .

ويُثني اللهُ عزَّ وجلَّ في تعزيته ومواساته للمؤمنين ، ويُخبرهم بأنَّهم إذا صبروا فليسوا أول من صبر بل إن كثيراً من أتباع الأنبياء السابقين صبروا على ما أصابهم في سبيل الله وما ضعُفُوا وما شعروا بالذلة والمسكنة ، قالَ تعالىٰ حاكياً عنهم ذلك : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٦] . ولم يقتصر الأمر في كتاب الله تعالىٰ على تعزية المؤمنين ومواساتهم وبيان فضيلة الصبر ، والتفاؤل وعدم الوهن والحزن والجزع لمن أراد أن يتمسك بهما أو يترك ، بل إنَّ الله ذمّ اليائسين والقانطين ، ونَدّدَ بهم وقبَّح فعلهم مبيناً تذبذب تصرفهم بين السراء والضراء حيث يقول الحق تبارك وتعالى في ذلك : ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ [الروم : ٣٦] . بل إن الأمر قد بلغ منتهاه عندما حكم القرآن الكريم بالكفر على من وصل به الأمر إلى اليأس من رَوح الله ورحمته ، فقالَ سبحانه على لسان يعقوب عليه السلام : ﴿ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف : ٨٧] .

وقال سبحانه على لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ [الحجر : ٥٦] .

ولهذا نقول بأن التفاؤل أمرٌ مطلوبٌ لكل مسلم وخاصةً للداعية الذي يحتاج إليه في كل لحظة من لحظات عمله الدعوي ، لأنه لو تسربَ اليأسُ والقُنوط إلى نفسهِ لتوقف عن العمل في تبليغ الدعوة للناس وهم في أمسّ الحاجة إلى أمثاله .

٤ـ الجرأة في الحق :

الجرأة في الحق هي الإقدام على القول ، أو العمل ، في شجاعة نفسية مستمدة في أصلها من الإيمان بالله سبحانه وبرسوله صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ ، والإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره ، وهي من المسؤولية التي ينبغي أن

يتحلّى بها الداعية ، وهي تعتمد على الثقة بالنفس بما لديها من معلومات وثقافة وتربية ، فكل هذه العناصر سبب في حصول الشجاعة النفسية مبعث الجرأة في نفس الإنسان ودافعه على قول الحق الذي لا يخشى فيه لومةَ لائمٍ!!! .

والجرأة في الحق فضيلة نفسية عظيمة لا يُؤتاها كلُّ أحدٍ ، ولعظم فضلها عُدّت من أعظم الأعمال وأفضل الجهاد ، فقد قال الرسول صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ : « أفضلُ الجهادِ كلمةُ عدلٍ عند سُلطانٍ جائرٍ »!!! [سنن أبي داود مع معالم السنن ج٤ ، ص٥١٤ ، رقم الحديث ٤٣٤٤ وصححه الألباني في صحيح الجامع ج١ ص٣٦١ رقم الحديث ١١١١] .

ومن المعلوم أن الجرأة في الحق تدفع المتصف بها إلى قول الحق دون خوف أو وجل ، وقال أيضاً : « سيِّدُ الشهداءِ حمزةُ بن عبدِ المطلب ، ورجلٌ قام إلى إمامٍ جائرٍ فأمرَهُ ونهاهُ فقتلَهُ »!! [مستدرك الحاكم ج٣ ، ص١٩٥ وقال صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي وحسّنه الألباني في الجامع ج٣ ص٢١٩ رقم الحديث ٣٥٦٩] .

ولأهمية الشجاعة النفسية في الحق فقد بايع الرسول صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ أصحابه الكرام على أشياء كان من ضمنها البيعة على الشجاعة النفسية .

قال عبادةُ بنُ الصامت رضي اللهُ تعالىٰ عنهُ : « بايعنا رسولَ الله صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ على السمع والطاعة في العُسرِ واليُسر والمَنْشَطِ والمَكْرَهِ ، وعلى أثَرةٍ علينا ، وعلى أن لا نُنازعَ الأمرَ أهلهُ ، وعلى أنْ نقولَ بالحقِّ أينما كُنا لا نخاف في اللهِ لومةَ لائمٍ »! [صحيح مسلم ج٣ ، ص ١٤٧٠ رقم الحديث ١٧٠٩] .

وقد امتدح الله سبحانه أنبياءه بأنَّهم يولون رسالات الله عنايتهم بتبليغها للناس بالجرأة والشجاعة النفسية ، فلا تمنعهم سطوةُ أحدٍ عن إبلاغ رسالاتِ الله ، يخافونه ولا يخافون أحداً سواه سبحانه ، ومن المعلوم بالضرورة أنَّ أتباعهم يدخلون ضمن من يُثني عليهم اللهُ إذا بلَّغوا دعوةَ الله ،

قال الله تعالىٰ : ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [الأحزاب : ٣٩] .

وإنَّ تاريخ دعاة الإسلام مليءٌ بسير رجال ونساء رفعوا لواء الحقِّ بالجرأة المطلوبة ، وللجرأة في الحق شروط نذكر منها :

١ـ الإخلاص لله عزَّ وجلَّ وذلك بأن يقصد بقوله أو فعله وجهَ الله سبحانه لا الرياء والسمعة من أجل ثناء الناس عليه .

٢ـ أن يكونَ الداعي عالماً بحكم ما يقول .

٣ـ أن يكون متزناً في قوله أو فعله فلا يتسرع أو يتهور .

٤ـ أن يكون الغرض من الدعوة إحْقاقَ حقٍ وإبطال باطلٍ .

٥ـ أن يستخدم في ذلك أسلوبَ الحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتي هي أحسن ومن ذلك تجنب ما يعتقد أن فيه إثارة للمدعو أو عدم قبوله! .

٦ـ أن يُنزل الناسَ منازلَهُمْ .

٧ـ أن يختار الأسلوب الأنفع حسب اجتهاده لاستمالة قلب المدعو .

٥ـ الاعتزاز بالإسلام :

لقد قدّر الله عزَّ وجلَّ في كتابه العزيز عِزّةَ المؤمنين على أعدائهم إبرازاً لمكانتهم العظيمة عند الله ، وتطميناً لنفوسهم وتثبيتاً لهم ، فقال سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون : ٨] .

يقول العلامة سيد قطب رحمه الله في ذلك : ويضم الله سبحانه رسوله والمؤمنين إلى جانبه ، ويضفي عليهم من عزته ، وهو تكريم هائل لا يكرمه إلا الله تعالىٰ . إلى أن قال : وصدق الله فجعل العزة صنو الإيمان في القلب المؤمن ، العزة المستمدة من عزته تعالىٰ ، العزة التي لا تهون ولا تهن ، ولا تنحني ولا تلين ولا تزايل القلب المؤمن في أحرج اللحظات إلا أن يتضعضع فيه الإيمان ، فإذا استقر الإيمان ورسخ ، فالعزة معه مستقرة راسخة!! .

ولذلك فإنَّ من ثمار الإيمان الاعتزاز بالإسلام ، ومن دلالاته شعور

المؤمن بالقوة والمنعة والشجاعة النفسية ، والثبات على الإسلام ، وإظهاره في مواطن الجاهلية ، والدعوة إليه ، والذود عنه بالسنان واللسان والكتابة نثراً وشعراً .

وإن من أمثلة الاعتزاز بالإسلام المتمثل بافتدائه بالأبناء ما قدمته الخنساء الشاعرة المشهورة في ثنائها على الله عزَّ وجلَّ عندما استشهد أربعة من أبنائها في معركة القادسية حيث قالت : « الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته » . [ابن حجر العسقلاني ج٧ ، ص٦١٦] .

٦ـ الصبر عند الشدائد والمحن :

الصبرُ قوةٌ نفسيةٌ إيجابية تدفع المتصف بها إلى مقاومة كل أسباب الضعف والذلة والخور والاستسلام ، كما تدفعه إلى الثبات بقوة أمام المصائب والفتن والمغريات ، ولذلك نقول بأنَّ الصبر ضروري للداعية ، يتسلح به ، ويتصف في محاور ثلاثة هي : الصبر على طاعة الله ، والدعوة إليه ، والصبر عن محارم الله ، والصبر على أقدار الله المُؤْلِمَةِ ، وكل هذه المحاور الثلاثة لها ارتباط وثيق بوظيفة الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ ، لأنها تجعل الداعية القدوةَ الحسنةَ أمام الناس .

وسنقصر الحديث على ما ورد في الكتاب والسنة من نصوص تأمر بالصبر في مجال الدعوة وتحث عليه ، وسنتناول بعض هذه النصوص بالعرض والتحليل في هذين المصدرين مع إيراد المعاني من تضحيات الصحابة في صبرهم على العذاب في سبيل الله .

١ـ ما ورد في القرآن الكريم :

لقد وردت كلمة الصبر ومشتقاتها في حدود مائة وخمس آيات ، تناولت جميع محاور الصبر وأنواعه مما يدل على أهمية هذه الصفة الحميدة! يقول الله عزَّ وجلَّ على لسان عبده لقمان الحكيم في وصيته لابنه وهو يعظه : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ

﴿ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان : ١٧] . ففي هذه الآية الكريمة أمر صريح واضح على الصبر في الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، حيث إن القائم بهذه الوظيفة يُعرّض نفسه للأذى في كل زمان ومكان في الغالب .

والله سبحانه يُبين لرسوله محمد صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ ما كان عليه الرسل السابقون من التمسك بالصبر على الأذى في سبيل تبليغ الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ ، كما يأمره بالصبر في ذلك كما صبروا ، وينهاه عن الاستعجال في النتائج .

فيقول الحقُّ تبارك وتعالى في ذلك : ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف : ٣٥] . والله سبحانه وتعالىٰ يواسي رسولهُ محمداً صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ على ما لاقى من تكذيب قومه ببيان صبر الرسل السابقين على تكذيب قومهم لهم ، فقال سبحانه : ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام : ٣٤] .

فإنَّ مهمة أتباعهم لا تخرج عن هذا الإطار وما عليهم إلا الصبر عند قيامهم بالدعوة إلى الله تعالىٰ .

ثانياً : وأما ما ورد في السنة من الأمر بالصبر والحث عليه فمنه ما رواه خباب بن الأرت قال : « شكونا إلى رسولِ الله صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ وهو متوسدٌ بُردَةً له في ظلِّ الكعبة ، فقلنا : ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو لنا؟ فقال : « قد كان من قبلكم يُؤخذ الرجلُ فيُحفرَ له في الأرضِ فيُجعل فيها فيجاء بالمنشار فيُوضع على رأسه فيُجعل نصفين ، ويُمشط بأمشاط الحديد ، من دون لحمه وعظمه ، فما يصدُّهُ ذلك عن دينه ، واللهِ لَيَتُمَنَّ هذا الأمرُ حتى يسير الراكبُ من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا اللهَ والذئبَ على غنمه ، ولكنكم تستعجلون »!! .

ولمّا فهم صحابةُ رسولِ الله صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ أهمية الصبر وقيمته من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وعرفوا أهمية الصبر في إعداد

المؤمن الداعية الصادق فقد هيأوا نفوسهم وأعدوها لتحمل المتاعب في سبيل الله ، وانطلقوا في ميادين الدعوة إلى الله غير مكترثين بما يعترضهم من عقبات ومصائب وأهوال . ولقد شهد تاريخ أمة الإسلام أمثلة من هذه التضحيات في سبيل العقيدة لا تقع تحت حصر ، فبذل المسلمون دماءهم وأرواحهم وأموالهم وأبناءهم رخيصة في سبيل مرضاة الله والدعوة إليه .

* * *

البحث الثاني

الإعداد الخُلُقي الاجتماعي للداعية المسلم

إنَّ وظيفة الدعوة إلى الله عمل اتصالي بالناس ، ولذلك فإنَّ هذه الوظيفة تحتاجُ إلى نوع معين من الأخلاق الاجتماعية الخاصة ، إضافة إلى الأخلاق الاجتماعية العامة ، لأن الداعية يحتاج إلى الدخول في قلوب الناس وعقولهم ، وهم كذلك بحاجة إلى ما عنده من وصفات طبيةٍ إيمانية .

ولا بد للداعية حينئذٍ أن يُعدَّ نفسه الإعدادَ المطلوب من أمثاله ، كما أنَّ القائمين على أمر المجتمع عليهم مسؤولية إعداد الدعاة ، عن طريق وضع برامج وخطط يسير عليها الدُّعاة كي يُصبحوا مؤهلين للقيام بمهمة الرسلِ عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم .

وإنَّ من أول برامج الإعداد ، العلمُ بما وردَ في كتاب الله وسُنة رسوله صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ من وصفٍ لهذه الأخلاق ، وحثٍ على الاتصاف بها ، وترويض النفس على امتثالها في الحسِّ والشعور ، ذلك لأن كثيراً من هذه الأخلاق يمكن اكتسابه .

ولعلّ من المناسب هنا ذكر بعض النصوص التي وصفت هذه الأخلاق وحثت عليها ، مما يتعلّق ببيان أهمية هذه الأخلاق للداعية وارتباطها بعمله الدعوي والذي يُؤهله لقيادة الناس ، علمياً وفكرياً ودينياً .

كما أنَّه لا يمكن الإحاطة بجميع المتطلبات الاجتماعية اللازمة للداعية ، وحسب الباحث أن يذكر بعضها فيما يلي :

١ـ الشعور بأنَّ الدعوة حقٌ لجميع الناس .

٢ـ الصدق والأمانة .

٣ـ الكرم والسخاء ، وسماحة النفس .

٤ـ الزهد والعفة ، والترفع عن المطامع الدنيوية .

٥ـ الحلم والعفو ، وتحمل الناس .

٦ـ الرحمة والرأفة .

٧ـ التواضع وخفض الجناح .

٨ـ المودة والتآلف .

١ـ الشعور بأنَّ الدعوة حقٌ لجميع الناس :

إنَّ فهم الداعية أنَّ الإسلامَ مطالبٌ به الناس جميعاً على اختلاف مجتمعاتهم ومواقعهم وجنسياتهم ولغاتهم وألوانهم ، ومن واقع فهمه لعموم رسالة الإسلام بدليل قوله سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [سبأ : ٢٨] . يدفعه للقيام بمهمته في مختلف المحاور الاجتماعية دون النظر إلى هذه الاختلافات في تفضيل جنس على جنس ، أو لون على لون ، أو فئة على أخرى آخذاً بقوله تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ [الحجرات : ١٣] . وكما في هذه الآية ، فقد صدرت كثير من آيات القرآن الكريم بالنداء العام مثل : ﴿يا بني آدم﴾ و ﴿يا أيها الناس﴾ تأكيداً لهذا المعنى العظيم!

ولقد هيأ اللهُ عزَّ وجلَّ للدعاة درساً في هذا الباب أراد الله وقوعه على يدِ رسولِهِ محمد صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ تشريعاً للبشرية ، ومُلَخَّصُ هذا الدرس ، أنَّ عبد الله بن أم مكتوم جاء ليتعلم من النبي صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ في بيته ، وعنده بعض زعماء قريش ممن هم على الكفر ، فرأى الرسولُ صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ أن يصرف ابن أم مكتوم إلى وقتٍ آخر لانشغاله بهؤلاء النفر الذين كان يأملُ أن يُؤمن بإيمانهم لو آمنوا ، نفرٌ كثيرٌ ، فلما انصرف

عبد الله نزل العتابُ على رسولِ الله صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ على تصرُّفهِ مع ابن أم مكتوم ، وشاهد ذلك العتاب قوله تعالىٰ : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ﴾ [عبس : ١ـ١٠] . فجاء هذا العتاب موعظةً وذكرى يُبرز كرامة الإنسان المؤمن ، وهي موعظةٌ تُشير إلى ضرورة اعتبار القضايا التالية عند ممارسة الدعوة :

١ـ أنه لا فرق بين إنسان وإنسان مهما كان مظهره أو جنسه أو جاهه أو ماله أو وضعه الاجتماعي فيما يتعلق بحقِّه في الدعوة إلى الله .

٢ـ أنَّ على الداعية مراعاةَ مَنْ عندَهُ القبولُ للدعوة والإقبال عليها وعدم اليأس من المعرضين .

٣ـ لا تقتصر الدعوةُ على من أسلم أو على من لم يسلم ، وإنما هي لمن أسلم تأكيدٌ وتوضيح ، وهي لمن لم يسلم هدايةٌ وتعليم . وقصة وصية النبي صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن مشهورة تدل على عموم الدعوة إلى الإسلام لكل الأجناس وأصحاب الملل الأخرى . فعن ابن عباس رضي الله عنهما : أنَّ رسولَ الله صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ لما بعث معاذاً رضي اللهُ تعالىٰ عنهُ إلى اليمن قال : « إنك تقدم على قوم أهل كتاب ، فليكن أولُ ما تدعوهم إليه عبادةَ الله ، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أنَّ الله قد فرضَ عليهم خمسَ صلوات في يومهم وليلتهم ، فإذا فعلوا الصلاة فأخبرهم أنَّ الله فرضَ عليهم زكاةً من أموالهم وتُردُّ على فقرائهم ، فإذا أطاعوا بها فخذْ منهم ، وتوقَّ كرائمَ أموالِ الناس »! [صحيح البخاري مع فتح الباري كتاب الزكاة ج٣ ، ص٣٢٢ ، رقم الحديث ١٤٥٨] .

٢ـ الصدق والأمانة :

هاتان الصفتان منبع الثقة والاطمئنان في الداعية لأنه يتعامل مع كل الناس وليس محدود الاتصال بأفراد معينين من أفراد المجتمع ، كما عليه سائر حال معظم الناس في حياتهم العامة والخاصة .

لذا فإنَّ الصدق والأمانة ضروريان للداعي ، لأنَّ ما يقوله ليس رأياً خاصاً به ، أو دعوة إلى نفسه ، وإنما هو مبلغ عن الله إلى الناس أجمعين ولابُدَّ والحالة هذه أن يكون صادقاً مع الله سبحانه أولاً ثم مع نفسه ، والناس ثانياً فيما ينقله إليهم وليكون أميناً في نقله لا يخون فيه بزيادة أو نقصان أو تحريف .

وقد يُقبل تقصير الداعية في بعض الصفات المطلوبة في حقِّه ما عدا هاتين الصفتين الصدق والأمانة ، فإنه أبداً لا يُعذر مطلقاً أمام الناس ، وإذا كان المصطفى صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ قد بيَّنَ أنَّ الكذب والخيانة من علامات النفاق في عموم الناس فكيف بمن قد أعدّ نفسه وخصص وقتَهُ للقيام بوظيفة الدعوة إلى الله ، حيث يقول المصطفى صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ في الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو أنَّ النبي صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ قال :

« أربعٌ من كُنَّ فيه كان مُنافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلةٌ منهُنَّ كان فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدعها : إذا أُتمن خانَ ، وإذا حدَّثَ كذبَ ، وإذا عاهدَ غدرَ ، وإذا خاصمَ فجرَ » . [صحيح البخاري مع فتح الباري ج١ ، ص٨٩ رقم الحديث ٣٤] .

لذا فإنَّ على الداعية أن يكون صادقاً فيما يقول أميناً فيما يفعل ، وأن لا يخالف قولُهُ فعلَهُ في السرِّ والعلن ، مما يتعارض مع صفتي الأمانة والصدق خاصةً ، وجميع الصفات عامةً ، وليروِّض نفسهُ على تلك الصفات إن وجد تقصيراً أو عجزاً في نفسه ، وليتأسَّ برسولِ الله صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ .

٣ـ الكرم والسخاء :

إنَّ للكرم والسخاء أثرهما البارز في خدمة الدعوة وإقدام الناس وميلهم ، لأن الكريم يستميل القلوبَ النافرة ، ويمهد النفوس للطاعة ، وقد كان النبي صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ إمامَ الدُّعاة وقدوتهم كريماً ، وكان يعطي عطاءَ من لا يخشى الفاقة! [الشفاء بتعريف حقوق المصطفى ج١ ، ص٢٣٨] . « وكان أجود الناس » [صحيح مسلم ، كتاب الفضائل باب كان النبي صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ أجود الناس بالخير ج٤ ، ص١٨٠٣ رقم الحديث ٢٣٠٨] . كما

وصفه ابن عمه عبد الله بن عباس دون أن يمنن على أحد بذلك ، وكان ممتثلاً بذلك أمر الله سبحانه في قوله : ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر : ٦] . ولا ينتظر ثواباً إلاّ من الله ، والله سبحانه يقول : ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة : ٢٧٢]

فإذا ثبتت هذه المعاني في نفس الداعية علم أنَّ ما يُنفقه في هذا السبيل مخلوفٌ عليه ومعوّض عنه من عند الله ، ولذلك فلا يتردد في الإنفاق على المدعوين عند الحاجة بقدر استطاعته المادية في مقابل طموحاته وآماله بنجاح دعوته .

٤ـ الزهد والعفة :

إنَّ الداعية تاجر من نوعٍ خاص فهو لا يتاجر في عمله الدعوي مع الناس ، وإنَّما يُتاجر مع الله سبحانه وتعالىٰ ، لأنَّ مصدر بضاعته من عند الله سبحانه ، والله سبحانه هو الذي يُعوِّضه ويجزيه الأجرَ والثوابَ ، ولا يجوز للداعية أن ينظرَ إلى ما في أيدي الناس أو جيوبهم في مقابل بضاعته التي يعرضها عليهم ، وليأخذ من رسل الله وأنبيائه عليهم الصلاة والسلام الأسوة والمثل في ذلك ، حيث كانوا يصرحون لأقوامهم بأنهم لا يأخذون الأجر ولا يسألونه في مقابل قيامهم بتبليغ الناس رسالةَ الله وإنذارهم سطوتَهُ وأليم عقابِهِ .

قالَ الله تعالىٰ على لسان نوح عليه الصلاة والسلام : ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۚ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ إِنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ [هود : ٢٩] .

وكما في قوله سبحانه على لسان نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم الصلاة والسلام مخاطبين أقوامهم ، كلٌ منهم يقول : ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء : ١٠٩ـ١٢٧ـ١٤٥ـ١٦٤ـ١٨٠] . وكما في قوله سبحانه مخاطباً نبينا محمداً صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ : ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص : ٨٦] .

٥ـ الحلم والعفو :

الحلم والعفو صفتان مُتلازمتان إذا وُجدَ أحدُهما وُجدَ الآخر ، وقد أثنى الله سبحانه وتعالىٰ على المتصفين بهما فقال سبحانه : ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٤] . إنَّ الداعية في عمله الدعوي يحتاج أكثر من غيره إلى خُلُق الحِلْم على الناس والعفو عنهم ، لأنه يأتيهم بما لايعرفون قيمته وفضله في الغالب ، ولذلك فقد يتعرض للإساءة منهم والأذى ، وهذا أمرٌ جبلّيّ في الإنسان في مقاومة ما يجهله ، ولابُدَّ أن يكونَ الداعيةُ على حيطةٍ وحذرٍ مما سيُواجههُ من الناس ، كما أنَّ عليه أن يستعدَّ للمعارضة والتخلق بالحِلم على المدعوين والعفو عنهم ، وإلا فلن ينجح في مهمته الدعوية إن قدَّم أخذ الثأر لنفسه والانتصار لها وقابلِ السيئة بالسيئة ، والله سبحانه وتعالىٰ يقولُ : ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾

[فصلت : ٣٤]

ولقد أثنى رسولُ الله صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ على الصحابي الجليل أشج عبد القيس لاتصافه بهذا الخُلُق الحميد حيث قال له : « إنَّ فيكَ خصلتين يُحبُّهما الله ، الحِلمُ والأناةُ »!! . . [صحيح مسلم ج١ ، ص٤٨ جزء من حديث رقم ٢٥] .

والحلم ليس دليل ضعفٍ أو عجزٍ بل إنه دليل على القوة بدليل قول الرسول صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ : « ليس الشديد بالصُّرعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسَهُ عندَ الغضب » . [صحيح البخاري مع فتح الباري ج١٠ ص٥١٨ رقم الحديث ٦١١٤] .

ولضرورة هاتين الصفتين الحلم والعفو في حياة الداعية فقد أمر الله سبحانه وتعالىٰ رسولَهُ محمداً صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ بقوله : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف : ١٩٩] . ويقولُ سبحانه : ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [المائدة : ١٣] .

٦ـ الرحمة والرأفة :

يُعتبر خُلُق الرحمة من أهم الأخلاق ، ويجب على الداعي أن يتحلى بها ، ولذلك اتصف بها أئمةُ الدُّعاة ، وهم رسلُ الله عليهم أفضلُ الصلاة وأتمُّ التسليم وفي مقدمتهم رسولُ الهدى صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ الذي قالَ الله سبحانه وتعالىٰ في حقه : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة : ١٢٨] . وقوله سبحانه : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

إنَّ رحمةَ الداعية بالناسِ وشفقته عليهم ونصحه لهم من أهم عوامل الجذب والقبول لما يقول ، ولابد أن تكون هذه الرحمة نابعةً من خوف الداعية وشفقته على المدعوين ، وحرصه على إنقاذهم من الضلال والكفر الذي يُؤدي بهم إلى النار ، ورجائه بأن يفوزوا برضوان الله سبحانه .

وإنَّ الرحمة المطلوبة في الدّاعية هي التي لا تتأثر بسبب إعراض الناس أو جهلهم عليه أو إيذائهم له ، لأنّهم في هذه الحالة يجهلون قيمة ما يدعوهم إليه ويدلّهم عليه في الغالب .

وإنَّ الرحمة المطلوبة في الداعية تُورثُ العفو والصفح في قلب الداعية لمن أساءَ إليه أو اعتدىٰ عليه!!! .

والرحمةُ تُورثُ اللين في القلب ، فيُقابل الداعيةُ المدعوين بالرِّفق واللين ، ويتجنب الغلظة والفظاظة التي تُسببُ نفور الناس عنه وعن قبول ما يدعو إليه وإن كان صواباً ، ولذلك بيَّنَ الله سبحانه فضل نعمته على رسوله صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ حيث جبله على خُلقِ الرحمة وأبعدَ عنه خُلُقَ الفظاظةِ والغِلظة في قوله سبحانه : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

فإذا كان النفور سيقع لو كان النبي صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ فظاً غليظ القلب وحاشاه فإنَّ غيره من الدّعاة من باب أولى إذا تخلَّقوا بهذا الخلق السيء .

ولذا فيلزم الداعية أن يكونَ رحيماً ، وليروض نفسَهُ على هذا الخُلُقِ الكريم حتى يكتسبه ويكون مألوفاً لديه ، وليكون أحد أسلحته التي يستخدمها في الدعوة إلى الله تعالىٰ :

٧ـ التواضع وخفض الجناح :

إنَّ التواضع أحدُ الصفات الأساسية التي تُساعد على المعاشرة الحسنة ، وهو من المطالب الأساسية للداعية إلى الله سبحانه ، لأنه قد جعل الدعوة إلى الله همَّهُ ، ولا يُمكنه أن يوصل الكلمةَ الطيبةَ للناس إذا كان يكلمهم من برج عاجي ، بل لابد له أن يدخل في نفوسهم جاعلاً نفسَهُ كأحدهم ، مشعراً لهم بذلك ، ملزماً نفسه بهذا الخُلُق الكريم . وهو بهذا الصنيع جديرٌ بأن تُفتح له القلوب ، وتطمئنَّ إليه النفوس ، ويُقبل قولهُ ، ويُطاعَ أمرُه ، ويُسمع لدعوته ، لأنه قد حقق قول الله سبحانه في نفسه حيث يقول آمراً نبيه محمداً صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ : ﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾

[الشعراء : ٢١٥]

وأما من يستطيل على الناس ويحتقر شأنهم ويتعالى عليهم ، فإنه جدير بنفور الناس عنه ، والهروب منه ، وإغلاق قلوبهم عن كلامه ، حتى ولو كان ما يقوله حقاً ، وقد يكون وبالاً على نفسه فحسب بل على الدعوة أيضاً ، وعلى الدّعاة الآخرين فكثيراً ما رأينا الشَّامتين على الدعوة والدعاة وعلى الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، وذلك بسبب سلوكهم السيء في منهج الدعوة ، وهكذا جُبلتِ النفوسُ على حُبِّ من أحسنَ إليها وكراهية من أساءَ إليها!! .

٨ـ المودة والتآلف :

بحكم عمل الداعية المرتبط بالناس فلا بُدَّ له من أن يكون هاشّاً باشّاً ، تبرقُ أساريرُ وجهه أمامَ من يدعوهم ويختلط بهم ، ويشعر بشعورهم يفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم ، ويخفف عليهم الآلام ، يشعر إخوانه ومدعويه بأنَّه يُحبهم

ويتودد إليهم ، يحترم كبيرهم ، ويعطفُ على صغيرهم ، يعود مريضهم ، ويعزي في ميتهم ، ويدعو لهم من كل قلبه بالشفاء والرحمة ، ويشعرهم أنه واحد منهم لا يفضل عليهم بشيء ويريهم أنه يستفيد منهم أحياناً ، لا يدّعي لنفسهِ الكمالَ ، ويشعرهم بتقصيره ، لا يحمل في قلبه غل لأحد ولا يضمر حقداً ولا حسداً ، ولا يشتغل بغيبةٍ ولا نميمةٍ ، ولا يسعى بالفُرقة بين الناس ، بل يحرص على لمِّ الشتات ، وجمع الشمل ، وهو جامعٌ لخصال الخير محبٌّ لها ، مانعٌ لخصال الشر كارهٌ لها .

فإذا ما كان الدّاعيةُ على مثل هذه الحال أو قريب منها ، فإنه سيكون مقبولَ القول مسموعَ الكلام ، محبُوباً مألوفاً ، كما كان عليه أبو بكر رضي اللهُ تعالىٰ عنهُ عندما آمن بالرسولِ صلَّىٰ اللهُ عليهِ وآله وسلمَ وصدقه قام من فوره بدعوة الناس إلى هذا الدِّين الجديد ونجح في مهمته نتيجة لاجتماع كثير من الخصال الطيبة فيه . [السيرة النبوية لابن هشام ج١ ، ص٢٦٧] . رضي الله تعالىٰ عنه ، وعن جميع الصحابة الكرام!! .

* * *